وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــــــــــة المثنى
كليـــــــــــة الآداب
قســـــــــــم الاثـــار
المرحـــــــلة الثالثـة

تاريخ الشرق الأدنى القديم
(بلاد الأناضول)

مدرس المادة
م.م. هيثم عقيل عويز

الفصل الرابع

مظاهر الحضارة الحيثية

١ـ النظام السياسي والاداري

لم يشعر الملك الحيثي في بداية التاريخ الحيثي بضمان مركزه . ومن الاحداث الاولى التي سجلتها لنا الوثائق الحيثية هو ترشيح النبلاء لملك منافس الى لابارنا الاول الذي عينه والده كخلف له ـ والتاريخ الحيثي بالواقع مليء بالمنافسة والصراع بين افراد العائلة المالكة في وقت كان يعمل به الملك على استقرار . ويظهر ان وفاة الملك الحيثي كانت تسبب ازمة دستورية حاول بعض الملوك التغلب عليها بترشيح خليفة لهم وهذه الحقائق قد تدل على ان الملكية الحيثية كانت في البداية انتخابية خاصة وان على الملك عرض مسألة ترشيحه لولي عهده على مجلس النبلاء للموافقة عليه . علما بان خطاب الملك حاتتوشيليش الاول لا يوحي بهذا الاستنتاج بل يدل على حرية الملك التامة بتعيين من يريد كخلف له على العرش ان لم يكن الاول يشير الى فترات اقدم حيث كان الصراع محتدما بين النبلاء والملك . واخيرا نظم الملك تيليبينوس الاول (١٥٢٥ ـ ١٥٠٠ ق . م .) قانون خلافة العرش الذي حصر به الخلافة في ابن الملك من زوجته الملكة وفي حالة عدم وجوده يعين ابنا من الخط الثاني (ابن اخ او حفيد الخ) والا فيعين زوج الابنة من الخط الاول للملك . وقد نظم هذا الاجراء خلافة العرش لمدة طويلة من الزمن بحيث لما توفي موواناللیش دونما وريث تربع على العرش بعده اورخي تيشوب ابنه من احدى محظياته ولم يقاومه عمه حاتتوشيليش الا بعد ان اختلف الملك معه .

واطلق الملوك الحيثيون على انفسهم لقب الملك العظيم لابارنا الذي حل
لقب الشمس في عصر الامبراطورية . ويدل اتخاذ اللقب الاخير دون شك على
العلاقة مع الارباب وتجعل نصوص هذا العصر الملك وكيلا عن رب العاصفة
بدله البلاد والملك هو الوسيط بين الالهة والبشر وعليه الحفاظ على حسن
الارباب مع الشعب ورضاهم عن سلوكهم وتصرفاتهم . والملك نفسه خاضع
هذا العصر الى قواعد صارمة لضمان الطهر الطقوسي الضروري لرضى الارباب
ومن القاب الملك الاخرى (البطل محبوب الرب او الارباب) . ولم يؤله الحيث
ملوكهم في حياتهم بل اعتبروهم ارباباً وعبدوهم بعد مماتهم وكان هناك طقساخ
بارواح الملوك الاسبقين.وكانوا يعبرون عن وفاة كل ملك بالقول (صار ربا) وا
ايضا هو الكاهن الاعلى لكل مزارات البلاد وطقوسها . وكانت هناك طقوس
بها الملك شخصيا.ونقرأ عن جولات كان يقوم بها بصحبة زوجته الملكة وولي عهد
- ففي منحوتة من الاجاهويوك نجد الملك رافعا يده تحية الى تمثال ثور (رمز رب الج
وفي منحوتة بملاطية يصب الملك السكيبة امام رب الجو . ونراه في جميع المنحو
لابسا حلته الخاصة ذات الثوب الطويل[1] . ففي كل يوم يدعو الملك رب الخ
تيليبينوش ويقدم السكائب والخبز ليضمن البركة والصحة له ولعائلته وشعب
واعلن حاتتوشيليش الثاني نفسه كاهن رب العاصفة عند نريك وابنا لربة الشم
- ارينا وتبني عشتار الحورية كربته الحامية الخاصة . ويظهر ان واجباته الكهنو
كانت كثيرة حيث انه الشخصية الرئيسية في جميع الاعياد الفصلية والاضاحي ا
تقدم الى كل رب وكانت بعض الاعياد تستغرق بضعة ايام وتتضمن طقوسا كثي
والالتزام بتحريمات قاسية احيانا تشمل اعضاء اخرين من العائلة المالكة الى جان
شخص الملك . وعلى الملك احيانا ان يتجول من مزار الى اخر ويلزم عليه حضو
عيد الربيع الكبير (البوروللي) حين تدب الحياة ثانية في الرب تيليبينو (تمو
الحيثي) وتتم في مزار نريك محاربة التنين الخطر ايللويانكاس . وفي الخريف يزو
الملك وبصحبته الملكة وولي العهد المزارات المختلفة في البلاد لمدة ستة عشر يوما في

طريقهم الى نريك . ويقدم الملك الاضاحي والسكائب الى الربة الشمس في ايريننا . وتقع على الملك ايضا مسؤولية النكبات التي تحل بالبلاد . وعندما توفي شوبيليوليوما وولده ، ارنوواندداش الثاني بالطاعون الذي ظل يفتك بالبلاد لمدة طويلة فتشت الوثائق لاحتمال العثور على اساءة ملكية سابقة سببت هذه النكبة وان عدم حرص الملك على القيام بواجباته الدينية يؤدي الى تعريض البلاد الى النكبات . وان تمثال الملك يوضع في المعابد حيث تقدم له القرابين وطقوس العبادة . والملك الحيثي كان قائد الجيش الاعلى حيث نعرف عن قيادة الملوك الحيثيين للفتوحات وهو رأس السلطة القضائية العليا والمسؤول عن العلائق الدبلوماسية مع الدول الاجنبية . وفي المملكة القديمة كان هناك مجلس الكبار في السن الذي تمتع بصلاحيات واسعة للاشراف على تصرفات الملك واركان بلاطه.وقد عدل هذا عندما غدت الدولة بعد ذلك مشيدة على اساس اقطاعي مرتبطة بالطاعة والولاء للملك ويقسم الحكام التابعون يمين الطاعة له بالارباب . وصار النظام الاقطاعي في عصر الامبراطورية ثابت الاساس ومما ساعد على قوة هذا النظام الان التطورات الجديدة في فنون القتال حيث دخل سلاح العربات التي تجرها الخيول واكد على الفروسية وبرزت هناك طبقة من الفرسان . وصار حكام الولايات يقسمون الولاء الى الرؤساء المحليين المرتبطين بدورهم بحكام اعلى لهم الاتصال بالملك عن طريق المعاهدات التي حددت واجباتهم وان هذه التطورات قد فرضت على الحيثيين بمرور الزمن وبالتدريج لان عنصر المحافظة كان جزء من الحضارة الحيثية .

وكان للملكة زوجة الملك مقاما مفضلا في الدولة الحيثية وتحكم بدله اثناء غيابه وتتمتع بلقب تاوا ننانناس والتي كانت تحتفظ به الملكة مادامت حية وان مات زوجها الملك ولا يمكن لاكثر من واحدة أن تحمله بنفس الوقت .

ونعرف عن ملكات لعبن دورا كبيرا في الدولة الحيثية منها زوجة شوبيليوليوما كما كانت بودو خيبا زوجة حاتتوشيليش الثالث التي اشتركت معه في الحكم ووثائق الدولة جميعها وكانت تراسل ملكة مصر . ونراها في منحوتة تضحي الى الربة الحيثية

في فيراحيتين (فراقتين) ويدل نص المعاهدة التي عقدها زوجها مع مصر انها كانت تمتلك ختمها الخاص وقوة مركز الملكة ربما يدل على اعتقادهم بكون ارتباطها بشخص الملك يرمز الى ارتباط الاخير بالربة والزواج بذلك يكون مقدسا . وفي اريننا تقدم الملكة بعد ذلك سبعة خرفان كاضاح الى ربة الشمس والربات الاخرى والملكات المتوفيات اللواتي حسب ما يظهر تم قرانهن بربة الشمس(٢) .

وكان لكل مدينة وقرية مجلسا للكبار في السن وكانت للمراكز الدينية نظما مختلفة في اداراتها . وفي البداية كان الملوك الحيثيون يعينون اولادهم لادارة المناطق الجديدة التي حصلوها بالغزو . وبعد ذلك صاروا يعينون قوادهم الذين كانوا عادة من اقارب الملك . وكان على حكام المقاطعات واجبات كثيرة منها اصلاح الطرق والقيام بالاعمال العامة وترميم البنايات العامة والمعابد والاشتراك في المراسيم الدينية والحكم بين افراد الشعب . ولم يعد هذا النظام عمليا عندما توسعت الدولة الى ما وراء حدود هضبة كابادوكية وبدأ العمل بنظام جديد تعطى به الاقطاعيات الى امراء البيت المالك امثال مدن زالبا ، خوبسينا وسوغزيبا ونيناسسا . وان صعوبة المواصلات ووعورة الطرق ادت الى تعيين حكام دائمين ومستقلين مرتبطين بالحكام بواسطة مواثيق وعهود . واخذت الدويلات الصغيرة تنظر الى الدولة الحيثية كقوة حاكمة وقد عرفنا كيف ان المقاطعات الهامة امثال حلب وكركميش وداتتاششا قد الحقت بالدولة واعطيت الى اعضاء من العائلة المالكة الحيثية اعطوا لقب ملك . وهناك المحميات التي تألفت من الممالك التي تمتعت بسمعة في السابق وقد اعطيت الان استقلالا رمزيا مثل كزواتنا وحكمت اكثر الممالك الخاضعة من قبل حكام تابعين الذين هم في العادة مواطنين من ذلك البلد ذوي ميول حيثية.ولا يحق لأي من هؤلاء الدخول في اتفاقيات مع دول اجنبية وعليه تقديم امدادات للجيش الحيثي في وقت الحرب . كما عليه ان يرسل الجزية ويعرض طاعته كل سنة . وقد عرفنا كيف ان الكثير من الملوك الحيثيين قد زوجوا اميراتهم من بيتهم المالك الى الكثير من الملوك التابعين لهم لكسبهم وضمان اخلاصهم . وكانت المعاهدة التي تربطهم مع الملك

تدون عادة على قطعة معدنية مع نسخ طينية اخرى .

وعلى صعيد العلاقات الخارجية فقد اظهر عصر العمارنة علاقات قوية بين ملوك مصر والعراق واشور ودول الميتاني والحيثيين . فقد تبادل هؤلاء الملوك الهدايا الفراء والرسائل التي خاطب كل منهم الاخر بالاخ . كما وصلتنا رسائل عدة دولت بين الملوك الحيثيين ومعاصريهم من ملوك الدول المجاورة . ووصلتنا عاهدات عدة عقدت بين الملك الحيثي ودول خارجية منها تلك مع مصر (بين حاتوشيليش الثالث ورعمسيس الثاني) . وكانت المعاهدة كما بينت نصوصها دفاعية ـ هجومية وتعهد كل طرف بمساعدة ولي عهد الاخر بصعود العرش بعد وفاة ي منهما واتفقوا على تسليم المجرمين الهاربين من ارض اي منهما الى ارض الثاني . دونت المعاهدة في نسختين الاولى بالهيورغليفية المصرية والثانية بالاكدية . وعززت لاتفاق هذا بعد فترة من الزمن بزواج اميرة حيثية للعاهل المصري[٣] .

٢ ـ الطبقات الاجتماعية :

لقد تمتعت العائلة المالكة الحيثية (المسماة بالعائلة الكبرى) بامتيازات خاصة حيث حصرت بهم مناصب الدولة العليا امثال رئيس الحرس ورئيس البلاد ورئيس السقاة ورئيس المحاسبين . . الخ . وتدل الكثير من هذه المناصب على ان القصر كانت له اقسامه الخاصة الكثيرة . ويظهر ان العائلة الحاكمة كانت تشكل طبقة مميزة . وفي بداية المملكة القديمة كان هناك مجلسا مهما يسمى مجلس جميع المواطنين (البانكوش) ووظيفته الحكم بين الناس وفرض العدالة . ولم نعد نسمع عنه شيئاً زمن الملك تيليبينوش وصارت الدولة الحيثية في عصر الامبراطورية اقرب الى الدولة المطلقة يحكمها موظفون يعينهم الملك.اما معلوماتنا عن الشعب فقليلة والغالبية كانت دون شك من الزراع وبعدها تأتي طبقة اصحاب الحرف المختلفة (البناؤون والسراجون والحاكة والفخارون والحدادون والنجارون الى جانب التجار

٤ ـ الاقتصاد :

اشتغلت غالبية السكان بالزراعة ويوضح القانون الحيثي البيئة الزراعية والقروية للمجتمع الحيثي . واحتفظ الزراع بالماشية والاغنام والخنازير وزرعوا انواع المحصولات منها الحنطة والشعير والكتان والعنب والتفاح والرمان . . الخ وشكلت الحنطة والشعير الطعام الرئيسي واستعملوا الشعير ايضا لعمل البيرة وربما حصلوا على الزيت من اللوز ايضا كما صنعوا الخمر من العنب . وكانت جبال آسيا الصغرى غنية بالمعادن مثل النحاس والفضة . ومن الصعب معرفة اماكن تعدين النحاس ولكن بولغار معدن في طوروس الكليكية كانت مركز تعدين للفضة والرصاص . واعطتنا النصوص الحيثية اماكن حصولهم على المعادن ولكن يصعب مطابقة الاسماء على المواقع الحالية . وكان النحاس والبرونز هي المعادن الشائعة في البلاد وعملوا منها الاسلحة والاوعية المختلفة . وقد عثر على بعض الادوات الحيثية المصنوعة من الحديد الذي هو الآخر موجودا في بلاد الاناضول . وقد برع سكان آسيا الصغرى بتعدين الحديد الذي كان يقوم به الفلاحون في بيوتهم خلال الموسم البارد . ونعرف بأن كزواتنا كانت مشهورة بتعدين الحديد .

وكانت وسيلة التبادل الفضة التي عملوا منها اوزانا مختلفة مثل العراق القديم مثل المنا (يعادل ٦٠ شقلا) والشقل (والشقل الحيثي يعادل ٨/٤ غراما اي اقل من الشقل العراقي) . وكان الحيثيون يشترطون على تابعيهم تقديم الجزية بوزن العملة الحيثية . ونعرف من عصور لاحقة بان المنا في كركميش كان يعادل ٣٠٠ غراما بينما يساوي المنا العراقي ٥٠٥ غراما . وقد حدد القانون الحيثي اسعار الحيوانات والماشية والاغنام والمنتجات الحيوانية والنباتية والبساتين والاراضي والملابس والمعادن . وان اتخاذهم الفضة كوسيلة للتبادل واستعمالهم الاوزان البابلية يدل على تأثرهم بالنظام الاقتصادي العراقي . وربما يكون التجار الحيثيون هم المسؤولين عن هذه التأثيرات خاصة وانهم كانوا يصلون الى مسافات بعيدة في تجارتهم . واخبرنا

نص ديني حيثي عن استيرادهم النحاس من الاشيا (قبرص) التي ربما كانت مصدرا ثانيا لهذا المعدن بالنسبة اليهم(٨) .

٥ ـ القانون :

وقد عثر على لوحين تضمنا قوانين حيثية تبلغ حوالي المائتين مادة ويظهر ان الحيثيين مالوا الى التبديل والتطوير في قوانينهم على مرور الزمن حيث نقرأ العبارة (لقد كان القانون كذا وكذا وصار الان كذا وكذا) والمواد الجديدة عادة اخف من السابقة . ويطلق الباحثون على اللوح الاول اسم اذا رجل لأن كل مادة تبدأ بالعبارة (اذا رجل) وعلى الثاني (اذا كرمة) لان كل مادة به تبدأ بعبارة (اذا كرمة) . ومن مواد اللوح الاول تلك الخاصة بالقتل والتعدي والعبيد والزواج والسحر والسرقة والتأجير والالتزامات الاقطاعية . ومن مواد اللوح الثاني تلك الخاصة بالاعتداء على البساتين والسرقة وتلف الممتلكات والاسعار والجرائم المتعلقة بالقنوات والسحر والحرمان من ارث الام ثم التعويض اوقات القحط وعدم اطاعة القانون والزواج الشاذ والجرائم الجنسية وقوائم الاسعار ومعدلات اسعار تعليم تلميذ لحرفة . ولا تضم هذه المواد من القانون الحيثي جميع مواد القوانين الحيثية بل جزء منها . فمواد الزواج مثلا خاصة بالحالات الشاذة فقط مما يدل على وجود قوانين اخرى تخص الزواج ككل . ولا نعرف هل ان قائمة الاسعار عامة على كافة ارجاء البلاد او انها دورية لاننا لا نعرف ان الاسعار تختلف من مكان لاخر ومن وقت لوقت ثان تبعا للعرض والطلب . ومن ميزات القانون الحيثي احتوائه على مواد خاصة تفرض عقابا مماثلا للجريمة (العين بالعين والسن بالسن) .

وحوى القانون الحيثي على التعويض واقتصر عقوبة الاعدام على بعض الجرائم وهي الزنا والاتصال الجنسي بالحيوانات ومعارضة سلطة الدولة (او المالك في حالة العبد) والسحر الاسود . ويعني الذنب بحق الاله لدى الحيثيين تعد على كل سكان المدينة او الدولة والعقوبة دون شك صارمة جدا . واقتصر التعذيب

في قطع اعضاء من الجسم على العبيد فقط . وفرق القانون الحيثي لاول مرة في القوانين القديمة بين القتل المتعمد والقتل بالصدفة . ومن مواد القانون الحيثي (اذا كسر احدهم ساق او ذراع رجل حر فعليه ان يدفع عشرون شقلا من الفضة ويطلق الحاكم سراحه) و(اذا سرق احدهم ثور حراثة ففي السابق كان عليه ان يدفع بدله خمسة عشر ثورا اما اليوم فيغرم عشرة ثيران . .) و(اذا قتل رجل حر حية وكان يردد اسم شخص اخر (نوع من السحر) فعليه ان يدفع باوند من الفضة واذا كان عبدا فيقتل) و(اذا احرق رجل خربيتا فعليه ان يعوضه لصاحبه ولكنه لا يدفع اي تعويض عما في داخل البيت . .) ويدفع العبد نصف الغرامات التي يفرضها القانون على الرجل الحر . ويظهر ان التاجر قد عومل معاملة خاصة في القانون الحيثي (اذا قتل تاجرا حيثيا فعلى القاتل ان يدفع ١/٢ باوند فضة دون ان يلاحقه الورثة واذا كان القتل في بلاد لوفيا او بالا فعليه ان يدفع ١/٢ باوند من الفضة مع تعويض كل البضائع . واذا كان القتل في بلاد الحيثيين فعليه ايضا ان يدفن التاجر) و(اذا قتل رجل او امرأة في مدينة اخرى فعلى الرجل الذي حدث القتل في ارضه ان يقتطع مائة ذراع من حقله ويقدمها الى الورثة) و(اذا قتل رجل تاجرا حيثيا من اجل بضاعته فعليه ان يدفع غرامة (؟) من الفضة باوند من الفضة ويعوضه ثلاثة اضعاف قيمة بضاعته . واذا لم يكن معه بضاعة وقتله نتيجة مشادة فعليه ان يدفع ستة باوندات فضة . ولكن اذا كانت يده هي الخاطئة (عن طريق الصدفة) فيغرم باوندين من الفضة) و(اذا قتل رجل على ارض غريبة فان كان حرا فعلى صاحب الارض ان يقدم (لورثته) حقلا ودارا وباوند وعشرين شقلا من الفضة . واذا كانت امرأة فعليه ان يعطي ثلاث باوندات من الفضة . واذا لم تكن الارض التي تم القتل عليها مزروعة فيجب ان تدفع التعويض اي قرية تقع على مسافة ثلاثة اميال من موقع الحدث واذا لم تكن هناك قرية فلا يحصل الورثة على اي تعويض) . والدية موجودة وعادة اعطاء اشخاص (خاصة عبيد) كجزء من الدية موجودة عند الحيثيين . هذا وان التأثير العراقي على القوانين والاجراءات الشرعية والعادات العرفية الحيثية

ولم تصلنا لحد الان اية وثائق حيثية خاصة ولذلك فان معلوماتنا عن المحاكم
ة قليلة للغاية . وكان المتنازعون يحتكمون لدى مجالس الشيبة التي كانت تشكل
ن الحكومة في المدن الرئيسية . وقد ذكر مجلس الشيبة هذا مرة في القانون الحيثي
يتعلق بتقرير مصير القطيع الضال . وفي العادة يكون ممثل الملك في الامور
ائية احد موظفي الملك مثل قائد الحامية حيث نقرأ في نص عن بعض واجباته
منها النظر في شكاوى الناس حتى تلك للعبيد والاماء ضد مالكيهم دون شك
اون مع السلطات المحلية . ويؤكد نفس النص على سلطة الملك النهائية خاصة
لقة بالسحر والاعدام والتعويضات على المال المسروق ان زادت عن الطالينيين .
فرد يعترض على سلطة الملك يخرب داره مما يدل على وجود العقوبة الاجماعية
ن الحيثيين واذا اعترض سلطة ممثل الملك فيقطع رأسه . ولدينا معلومات عن
كم شكلت لاستقصاء حقائق في حالات اهمال القيام بالواجب حيث تستمع
حكمة للشهود ودفاع المتهم .

وسلطة الاب في العائلة الحيثية قوية للغاية يحل محله الابن الاكبر في حالة
اته . والزواج لا يكون شرعيا الا بعقد بين الزوج والزوجة (بموافقة والدها) .
على الخطيب ان يقدم لعروسه صداقا (كوساتا بالحيثية) الى خطيبته . ويقدم اهل
نت هدية لها (ايوارو) سواء كانت عينية او نقدية . واذا ماتت الزوجة في دار
وجها فيكون صداقها ملكا له . وحرم القانون الحيثي الزواج بالاقارب الاقربين
اي اتصال جنسي مع الام او البنت او الاخت وابنة الزوجة من زواج سابق اومع
وجة الاب او الاخ في حياتهما . واذا توفي الاخ المتزوج فعلى ارملته الاقتران باحد
خوته وفي حالة انعدامهم فتتزوج والد زوجها المتوفي او ابن اخت او اخ له .
ويتمكن الحيثي ان يتزوج باي عدد يوده من امائة .

اما ملكية الارض فهناك مالكي الاراضي ثم الاراضي الخاصة برجل الالة او
رجل السلاح ويعتقد البعض ان الاخيرة قد وزعت على المحاربين . وربما تكون